مجلة تداوليات ISSN :2992-0795
المجلد الثالث03/ العدد الثاني 02 / ديسمبر2025 / ص ص:73 -109

الحِجَاجُ اللغويّ في رِسالةِ الغُفرانِ لأبي العلاء المعريّ
دِرَاسَةٌ في ضوءِ نَظَرِيّة أفعال الكلام

Linguistic Argumentation in *Risālat al-Ghufrān* by Abū al-ʿAlāʾ al-Maʿarrī:
A Study in the Light of Speech Act Theory

أ.د نبيل خالد أبو علي — أستاذ الأدب والنقد – الجامعة الإسلامية - غزة
أ. مها عبد الكريم العجلة — ماجستير الأدب والنقد - الجامعة الإسلامية - غزة

Prof. Dr. Nabil Khaled Abu Ali, MahaA.Karim Al-Ejla
Faculty of Arts, Arabic Department, The Islamic University of Gaza
Corresponding Author: dr.maha.1993@outlook.com

الملخص:

ينفتح هذا البحث على دراسة الحجاج اللغوي في رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي من زاوية تداولية معاصرة، محاولًا تجاوز القراءات البلاغية التقليدية إلى مقاربة تكشف عن البنية الإنجازية العميقة للنص. ينطلق البحث من فرضية أنّ خطاب المعري لا يكتفي بوظيفة التمثيل أو السرد، بل يتشكل بوصفهِ ممارسة لغوية إقناعية تستند إلى استراتيجيات حجاجية دقيقة.

وقد اعتمدت الدراسة على أدوات نظرية أفعال الكلام والسلالم الحجاجية كما بلورها ديكروأنسكومبر، محاولةً الكشف عن كيفية تحوّل الروابط التداولية والتراكيب النحوية في نص الغفران إلى محركات برهانية قادرة على إعادة تشكيل المعنى وقيادة المتلقي نحو موقف محدد. وهنا تتبدّى رسالة الغفران نصًا حجاجيًا بامتياز، يزاوج بين السخرية والبرهان، وبين الخيال الفني والصرامة المنطقية.

تكمن قيمة هذا البحث في كونه يسدّ فجوةً معرفيَّةً في الدراسات العربية، إذ يضع نص المعري ضمن إطار تداولي عالمي، ويبرز خصوصية أسلوبه في بناء الحجة بوصفه نموذجًا لإبداع تفاعلي يمزج بين التراث البلاغي العربي والمرجعيات التداولية الحديثة. وتخلص النتائج إلى أنّ المعري مارس خطابًا نقديًا متجاوزًا لحدود عصره، موظفًا اللغة أداة للفعل والتأثير، لا مجرد وعاء للمعنى.

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام، التداولية، السلم الحجاجي، المواضع، التعبيريات

Abstract

This study explores linguistic argumentation in al-Maʿarrī's*Risālat al-Ghufrān* from a contemporary pragmatic perspective, seeking to move beyond traditional rhetorical readings toward an approach that reveals the text's deep illocutionary structure. The research begins from the premise that al-Maʿarrī's discourse does not merely serve representational or narrative functions, but rather unfolds as a persuasive linguistic practice grounded in precise argumentative strategies.

The study employs the analytical tools of **speech act theory** and **argumentative scales** as formulated by Ducrot and Anscombre, aiming to demonstrate how pragmatic connectors and syntactic constructions in al-Ghufrān operate as argumentative engines capable of reshaping meaning and guiding the reader toward a specific stance. In this light, *al-Ghufrān* emerges as an eminently argumentative text, interweaving irony with reasoning, and artistic imagination with logical rigor.

The significance of this research lies in addressing a scholarly gap within Arabic studies by situating al-Maʿarrī's text within a global pragmatic framework, highlighting the distinctiveness of his argumentative style as a model of interactive creativity that bridges classical Arabic rhetoric and contemporary pragmatic theory. The findings suggest that al-Maʿarrī practiced a critical discourse far ahead of his time, employing language as an instrument of action and persuasion, rather than as a mere vessel of meaning.

Keywords: Speech Acts, Pragmatics, Argumentative Scale, Topoi, Expressives

مقدمة:

يشكّل الحِجَاج اللغوي مرتكزًا أساسًا في النظرية التداولية المدمجة، حيث يتداخل البعد الدلالي بالبعد التداولي ليغدو الخطاب فعلًا إقناعيًا لا محض أداة إخبارية. لذا تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة حجاجية لرسالة الغفران في ضوء نظرية أفعال الكلام، وما تتيحه من كشفٍ عن القوة الإنجازية والاستلزام الحواري ضمن بنية النص. فاللغة عند المعري تتحوّل إلى أفعال تواصلية محمّلة بالوظائف التعبيرية والتوجيهية، إذ تتضافر الحجج وتتنامى عبر الروابط والمواضع والسلالم الحجاجية، ويكشف هذا المسار عن إدراك عميق لفعل القول وطاقته الإقناعية في بناء المعنى وتكوين التأثير بدءًا من رسالته وانتهاءً بالمتلقي.

تبرز خصوصية خطاب المعري في قدرته على تحويل المفردة إلى موقعٍ تداولي ينهض بالبرهنة ويقود المتلقي إلى التسليم. إنَّ توظيف النظرية التداولية وأفعال الكلام يتيح قراءة معمّقة تستجلي التراتبية الحجاجية وتعيد إبراز التراث البلاغي في أفق نقدي حديث.

أسباب اختيار الموضوع

1- ندرة العناية بالبعد الحِجَاجي الإقناعي في بلاغة العرب النثرية ضمن الإطار التداولي العام للبلاغة العربية، رغم ما يختزنه من طاقات تأثيرية عميقة
2- ما تتضمنه نصوص الغفران من تقنيات حجاجية متنوّعة، تتراوح بين المنطقي والتداولي واللساني، بما يجعلها ميدانًا خصبًا للتحليل.
3- السعي إلى الكشف عن خصوصية الأسلوب الحِجَاجي عند المعري في خطابه النثري، وإبراز طابعه الإقناعي المميّز القائم على التنوع الأسلوبي والتكثيف الدلالي.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

- الكشف عن جدلية القول في رسالة الغفران، ومحاولة التنقيب عن آلياتها الإنجازيةوالاستلزامية في ضوء نظرية أفعال الكلام.
- تحليل التقنيات الحِجَاجية والوسائل التداولية التي وظّفها أبو العلاء المعرّي لبناء خطابه الإقناعي وإبراز خصوصيته في الحجاج الأدبي.

أهمية الدراسة

- تتجلّى أهمية هذه الدراسة في الكشف عن الآليّات الحِجَاجيّة البلاغيّة والمنطقيّة والتداوليّة التي يقوم عليها الخطاب، بما يعمّق فهم بنيته الإقناعيّة ووظائفه التداوليّة.
- تسعى الدراسة إلى اختبار إمكانات القراءة الحِجَاجيّة الحديثة وتقنياتها في مقاربة نصوص النثر العربي القديم، بما يفتح أفقًا جديدًا للتفاعل بين التراث البلاغي والتصوّرات النقديّة المعاصرة.

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة المنهج التداولي الحِجَاجي، بوصفه منهجًا عريقًا يمتد بجذوره إلى البلاغة العربية القديمة، ويتفاعل مع المعطيات الحديثة في التداولية وما تفرّع عنها من نظريات. وقد استند هذا البحث بوجه خاص إلى نظرية أفعال الكلام، ونظرية التواصل والتلفظ، في تحليل أنساق القول وربطها بسياقاتها التداولية. ويعود اختيار هذا المنهج إلى انسجامه مع طبيعة النص المدروس الذي يزخر بمعالم حِجَاجية متنوّعة: لسانية، ومنطقية، مما يجعل المقاربة التداولية أقدر على كشف وظائف الخطاب الإقناعية وأبعاده التداولية.

مُصْطَلَحَات الدِّرَاسَةِ

نظرية أفعال الكلام: تذهب إلى التأكيد أن العبارات اللغوية لا تنقل مضامين مجردة ونمطية، وإنما تختلف حسب عدة عوامل منها السياق، بالإضافة إلى ظروف وعوامل أخرى تتدخل في تحديد دلالة اللفظ وقوته منها المقام والزمان والمكان، وعليه تحول الاهتمام من الجملة في ذاتها (نمط) إلى البحث في مختلف تمظهراتها. ومن ثم تم الانتقال من الإحالة اللسانية إلى إحالة المتكلم[1].

السلم الحجاجي: أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (لحجج) نسميه سلمًا حجاجيًا.

التداولية المدمجة: هي اتجاه دلالي ينظر إلى اللغة باعتبارها بنية تحمل في ذاتها أبعاد القول وأفعاله، فلا يفصل بين الدلالة والتداولية كما هو مألوف في بعض التصورات التقليدية. يقوم هذا الاتجاه على إدماج البُعد التداولي داخل البنية اللغوية ذاتها (اللسان بالمعنى السويسري)، بحيث لا تُفهم الدلالة على أنها مجرد

(1) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، ص79.

محتوى إخباري وصفي، بل تشمل كذلك الآثار الإنجازية والتواصلية الملازمة للخطاب. ومن هنا يتأسس التميّز في هذه النظرية، إذ تجعل التداولية جزءًا لا يتجزأ من التحليل اللساني.

الدراسات السابقة

لقد حظيت رسالة الغفران بعناية الكثير من الباحثين، فتنوّعت دراساتهم بين الكشف عن أبعادها البلاغية، واستجلاء أسرارها الفنية، وتحليل صورها العجيبةِ وما تنطوي عليه من تخييل ولغة ذات طابع فني عميق. كما تناولت بعض الأبحاث جوانبها العقدية والفكرية وما فيها من رموز وأساليب تصويريةغريبة ارتبطت بتصور المعري للعالم الآخر. غير أنّ هذه الجهود على قيمتها وما أضافته من ثراء للعربيّة، بقيت أسيرة مناهج بلاغية أو تاريخية أو أدبية عامة، ولم تتجه – بحسب ما وقف عليه الباحثان – إلى استثمار المنهج التداولي الحِجَاجي في مقاربة نص رسالة الغفران.

إن دراسة الحِجَاج في ضوء نظرية أفعال الكلام تمثل إسهامًا جديدًا يفتح أفقًا مغايرًا لفهم هذا النص، ويكشف عن بنياته الجدلية وآلياته التداولية التي لم تُعالج سابقًا معالجة متخصصة.

المبحث الأول/السلم الحجاجي والمواضع

يعدُّالحِجَاج اللغوي محورًا أساسيًا في النظرية التداولية المدمجة التي صاغها ديكرووأنسكومبر منتصف السبعينات، والتي رفضت الفصل التقليدي بين الدلالة والتداولية، لتؤكد أنّ اللغة تضم بالضرورة بعدًا تداوليًا مدمجًا في المعنى، لا مجرد وظيفة خبرية وصفية. وتنبثق نظرية ديكرو عن فرضية مركزية مفادها أنّ المتكلم يستخدم اللغة أساسًا لأغراض الإقناع، ما يجعل الوظيفة الحِجَاجية هي الغالبة، بينما الوظيفة الإخبارية تأتي في مرتبة ثانوية. ويستند هذا الإطار إلى نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن وسيرل، التي مثلت الحاضنة الأولى لفهم اللغة كفعل، أعاد ديكرو صياغتها وأضاف إليها بعدين أساسيين:الاقتضاءوفعل الحِجَاج، اللذين يعززان القدرة الاستدلالية للخطاب.

يعتمد الحِجَاج في جوهره على توجيه المتلقي عبر مجموعة من المؤيدات اللسانية، وقد خصّص ديكرو دراسة متعمقة لهذه الظاهرة في مؤلفه كتابالسلالمالحِجَاجية[2]، حيث يرسم حدود نظرية السلمية المبنية على التراتبية داخل اللغة والخطاب.

ويُعرَّف السلم الحِجَاجي بأنه مجموعة من الأقوال المرتبة ترتيبا هرمياً، يخضع كل قول فيها لمستوى أعلى يلزم ما يليه، بحيث يكون القول الأعلى أقوى برهانية على المعنى المطلوب[3].وتمثل العلاقة التراتبية أساسًا لاستدعاء القوة الحِجَاجية، إذ تتفاوت الأقوال وفق قيمتها الدلالية، ما يمنح الخطاب بنية تصاعدية تمكن من تنظيم الأدلة وإبراز أهميتها. ويُبرز مفهوم معطيات السلم الحِجَاجي أنّ جملتين (أ) و(ب) تنتميان إلى نفس الحقل الاستدلالي ويُعتبران دليلين لخدمة نفس النتيجة[4]، وإن اختلفا في القوة والفاعلية، حسب اختيار المتكلم واستراتيجية الإقناع التي ينتهجها. ويؤكد السلم الحِجَاجي أن كل قول في مرتبة عليا يستلزم جميع الأقوال التي تقع تحته، بما يرسّخ قيمة أعلى الأدلة ويدعم النتائج المرجوة ضمن الخطاب.

ويتيح هذا الترتيب للمتكلم أن يدير طاقة الأقوال ويربطها بالنتيجة المرجوة، في إطار هيكل حِجَاجي متكامل يجمع بين الترابط الدلالي والقوة الإقناعية. وبذلك يصبح السلم الحِجَاجيمعلمًا دلاليًا واضحًا في أي خطاب، حيث تتضافر الحجج وفق قوتها وتراتبها[5]، مما يعكس السيطرة الفكرية للمتكلم على عملية الإقناع وتحقيق أهدافه الحِجَاجية.

(2) العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عزالدين الناجح، ص121.

(3) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، ص276.

(4) ينظر:لاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، رضوان الرقبي، ص93.

(5) يُنظر: اللسان والميزان والتكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، ص276.

أ. سلّمية المعجم

يعمد المؤلف من خلال سلمية المعجم إلى الاسترسال في ذكر المعاني (الصفات) التي تنتمي لفصيلة لُغَوِيّة واحدة؛ لكن الانتماء هذا لا يعني تساويها في السلم؛ بل هناك تمايز من حيث القوة الحِجَاجيّة للكلمة والمرادفة لها. والضابط لهذه المعجمية وظيفةُ اللُّغَة المرجعية، وما يحكم ملفوظاتها من دلالات ومعانٍ، تجعلها تخضع لذات المعجم، على اختلاف الدلالات ودقة تمايزها. فأساس هذه السلمية هي قيام المعجم على ضرب خاص من التقابل، ويقصد بالتقابل ذلك الاسترسال في معاني المفردات المذكورة للكلمة الواحدة وتتابعها في السياق الواحد.

يقول المعرّي: "وَلَوْ خَالَطَ مَنًا من عسلِ الجِنانِ، ما خلقه الله –سبحانه- في هذه الدار الخادعة، كالصّابِ، والمَقرِ، والسَّلَعِ، والجَعدَةِ، والشّيحِ، والهَبِيْدِ، لعاد ذلك كلُّه، وَغَيْرُهُ مِن المُعِيْقَاتِ، يُعَدُّ من اللَّذائِذِ المرتقِات، فآضَ ما كُرِهَ من الصّابِ.."[6]

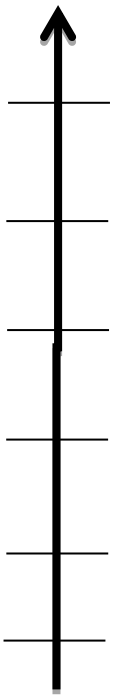

(الصَّاب) = الصفة التي تحوي الصفات المشتركة وغير المشتركة مما يكوّن السلم.

(المَقر) = نباتٌ مرّ، وهو الصّبر أو شبهه.

(السَّلع) = شجرٌ مرٌّ.

(الجَعْدة) = (الحشيشة تنبت على شاطئ الأنهار، وهي طيبة الريح مرّة.

(الشيح) = (نباتٌ يشتهرُ بمرارتهِ).

(الهَبِيْدِ) = أقل الصفات في السلم حجاجيةً، (وهيَ نَبْتَةٌ بريّة مرّة).

6() رسالة الغفران، المعري، ص165.

يعدِّدُ المعرّي ألفاظًا تدلُّ على المرارة ويحاول من خلال حجاجه اللغوي إبراز قوة لغته وسعة اطلاعه على غريب اللغة وعجيبها؛ فهو يحاول انتقاء المفردات بعناية بصورة محيطة لبيان الموطن اللغوي الذي تُزرع فيه الكلمة لتنمو بدلالات قوية الأصل والبنى التركيبية لحجاجها.

وهذه العلاقة التراتبية للألفاظ تظهر دلالة المعاني المستخدمة من حيث شدتها، ولا خلاف أن درجة قوتها ودلالة مرارتها تختلف من لفظةٍ لأخرى، وذلك حسب السياق المتواضعة فيه.

ومن الواضح الجليّ للنظر والفكر أن المعرّي قد أبدى معرفة بقوة المعاني وتأثيرها فهو يذكر (الصَّاب) في بداية ترتيبه وهي العصارة الشديدة المرار، وهو مثل يُضربُ لأشدِّ ما يذاق مرارةً: "أمرُّ من الصّابِ".

ثم يتلو الألفاظ الأقل في مرارتها واحدة تلو الأخرى، وفي النهاية كل الدلالة ومركزها يدور حول شدة المرار.

ومن ذلك قوله: " وما بعدَهُ: فيقولُ – أرغَمَ اللهُ أَنْفَ شَانِئِهِ- نُنْشِد: وَإِذَا نَظَرْتَ، وإِذَا لَمَسْتَ، وإِذَا طَعَنْتَ، وإِذا نَزَعْتَ، على الخِطَابِ.."[7]

يُدرِجُ المعرّي هنا مجموعة ألفاظ تتصاعد في قوة حجاجها مع انسياق قوة المفردة في معناها، وهو يذكرها حسب شدتها من الفعل الذي يبدأ باللحظ والملاحظة وصولًا إلى النهاية والنزع والانتهاء

7() رسالة الغفران، المعري، 205.

(نَزَعْتَ) = نهاية الدلالة واكتمال مشهد تداخل الأفعال وتوالدها لرسم مشهد سياقي بليغ.

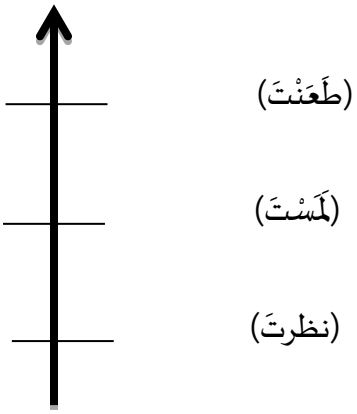

وهذا توظيف ذكي في صورة الحجاج وعمليته التأثيرية في النّص وبلوغ مراد الصورة واكتمالها، فهذا معرضُ ألفاظ وسياق تتوالد فيه المعجميّة بشكل تراتبيّ في اللفظ والمعنى وانتهاءً برصد قيمٍ إقناعيّة تصاعديّة للألفاظ.

وهذا ديدن المعرّي في مقابلاته ونصوصه وعملية نحته لبالغ نصوصه وبليغها، فهو لا يكتب إلا من صميم اللغة ولا يصنع التراكيب إلا من عُمْقِ أعْماقِهَا.

ب. المبادئ الحِجَاجيّة

تشكل المبادئ الحجاجية الضامن الأساسي لربط الحجة بنتيجتها[8]، فهي قواعد كلية يستند إليها المتكلمون ضمنيًا لتحقيق قبول الحجاج وضمان صلاحيته التداولية. تتميز هذه المبادئ بعموميتها، حيث تُطبق في سياقات متعددة، وبالتدرجية التي تربط بين محمولات متدرجة، فضلًا عن نسبيتها التي تسمح بإبطالها أو تعديلها وفق السياق[9]. هذه الخصائص تعكس الطابع الديناميكي للخطاب الحجاجي، حيث

(8) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص31.
(9) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص32.

تتفاعل المبادئ مع الظروف التداولية المختلفة. يستند هذا الفهم إلى نظرية ديكرو التداولية المدمجة، التي ترى في اللغة أداة حجاجية تنبع من تداخل البعدين الدلالي والتداولي، مؤكدة أن بناء الخطاب لا يقتصر على المعنى بل يشمل سياق الاستخدام والتفاعل الخطابي.

فالمواضع الحجاجية هي شبكات من المعتقدات القياسية تُنسج داخل الخطاب لتؤسس انسجامه، حيث تُبلور الحجج وتُقوى أواصرها مع المقدمات، فتتولد نتائج ذات حتمية دلالية وتداولية تتماهى مع البنية الحجاجية الكلية. ونصُّ رسالة الغفران كانت ثريًّا مليئًا بالعديدِ من المضمرات القياسية والمبادئ، ومن ذلك قوله: "وَبَنُو آدم في دارِ المِحَنِ والبَلَاءِ، يَقْبِضُونَ منَ الشَّدَائِدِ على السُّلَاءِ، والوَالِدَةُ تَخَافُ الْمَنِيَّةَ عَلَى الوَلَدِ، ولا يَزَالُ رُعْبُهَا في الخَلَدِ.."[10]

الاستدلال

المقدمة الكبرى: وَبَنُو آدم في دارِ المِحَنِ والبَلَاءِ، يَقْبِضُونَ منَ الشَّدَائِدِ على السُّلَاءِ.

المقدمة الصغرى: هذه المقدمة هي جزء يعمل على تخصيص للمقدمةِ الكُبرى، فالنّاس بطبيعتهم لا ينفصلون عن واقع البلاء والشّدائد، وحياة البشر سلسلة من الابتلاءات المتتابعة، ولا يُرتجى تمام الراحة إلا في الجنة.

النتيجة: من شدة ما يجدون في هذه الدنيا من ابتلاءات تتكاثر يومًا بعد يوم، يحاول الإنسان التّعلق بأي مخرج من محنته وبلائه فلا يجد سلوى لبلواه إلا (السُّلاء)؛ وهو الشوك يمسكه بين يديه.

10() رسالة الغفران، المعري، ص226.

ويقول المعري: "أتقولُ هذا وإنَّ بيتًا مما بنيتُ ليعدِلُ بِمائةٍ من بِنَائكَ، وإنْ أَسْهَبْتَ في مَنْطِقِكَ، فإنَّ المُسْهِبَ كَحَاطِبِ لَيْلٍ"[11].

الاستدلال

المقدمة الكبرى: فإنَّ المُسْهِبَ كَحَاطِبِ لَيْل.

المقدمة الصغرى: هذا نقض مبنيّ على حوارٍ بين أبي بصير ونابغة بني جعدة في رسالة الغفران، والمتحدث هنا هو الأعشى الذي يصف نابغة بني جعدة بالمكثر المهذار الذي يسهب في حديثه وهذا لا يعدّ أفضلية في القول، بل هو قلق واضطراب في الفكر.

النتيجة: أنّ بيتًا من أبيات الأعشى (كما يزعم) ليعدِل مائة بيت من شعر النابغة، لأن شعره –في نظره- مبني على الاقتصاد والاختزال في مقصديّة تخيّرِ الكلمِ، فالبلاغة إيجازٌ عند أهلها، وقيمتها عندهم لا تُقاس بالكم، بل في القدرة على وضع الكلمة في محالّها، بحيث تكون متّزنة في مبناها ومعناها.

المبحث الثاني/ الروابط الحِجَاجيّة

يُعدّ الحِجَاج فعلاً لغويًا في حدّ ذاته؛ إذ ذهب عدد من الباحثين في تطوير نظرية التداولية المُدمجة، استنادًا إلى نظرية الأفعال اللغوية، إلى إضافة "فعل الحِجَاج" كأحد الأفعال اللغوية المميّزة. ويتميّز هذا الفعل بوجود روابط وأدوات لغوية و"هي التي تحدد طرق الربط بين النتيجة وحجتها"[12]بحيثُ تُوجّه الملفوظ وجهةً احتجاجية، وتُسهم في تفعيل البُعد الحِجَاجي للفعل اللغوي داخل الخطاب.

11() رسالة الغفران، المعري، ص229.

(12) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ص376.

ركّز ديكرو على الروابط والعوامل الحِجَاجية بوصفها أدوات إجرائية تُفعّل الانسجام الخطابي وتُوجّه آليات التأويل ضمن البنية التداولية. تُصنّف الروابط كآليات ربط بين قضيتين حِجَاجيتين[13]، تُنتج التلازم أو التبرير (مثل: لأن، إذن، إذ)، وتُسهم في بناء المعمار الحِجَاجي الكلي. أما العوامل، فهي مؤشرات لغوية تُقيّد الحقل الحِجَاجي للقضية الواحدة[14]، وتضبط انزياحات الدلالة (مثل: ربّما، كاد، قصرًا، قليلًا). هذا التمييز يُرسّخ اشتغال الحِجَاج ضمن مستويات متعددة من التوجيه الخطابي والتأطير التداولي.

أولًا: الروابط الحجاجية

يتميّز الفعل الحِجَاجي في الخطاب بوجود روابط تُوجّه مقصديّة الأقوال عبر ضبط العلاقة بين الحُجّة والنتيجة. وتُعرّف هذه الروابط ضمن استراتيجية حِجَاجية حديثة تربط بين وحدات دلالية متعدّدة، لا بين أقوال فقط، كما في التصور التقليدي، بل قد تشمل سلوكًا غير لفظي أو إشارات تعبيرية. وقد صنّف العزاوي الروابط الحِجَاجية[15] إلى أنواع منها: روابط التعارض (مثل: لكن، بل)، وروابط التساوق (مثل: لا سيما، حتى). كما فرّق بين روابط تُدرج الحجج أو النتائج، وأخرى تُميّز بين حجج قوية وضعيفة، بحسب موقعها في السياق التداولي.

1- روابط التعارض الحجاجي

الرابط الحِجَاجيّ (لكن)

يصوغ ديكرو القاعدة العامة لأداة الربط الحِجَاجية "لكن" على النمط(P mais Q) ، حيث تُفَعِّل هذه الأداة وظيفة مفصلية في الخطاب، إذ تربط بين قولين متعارضين لتوليد توتّر حِجَاجيّ يُعيد توجيه المسار

(13) يُنظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص27.

(14) يُنظر: العوامل الحجاجية في اللغة، عزالدين الناجح، ص22.

(15) يُنظر: العزاوي، اللغة والحجاج (ص30).

التأويلي. وتتحقّق قيمتها الإبلاغية عبر إدراجها بين مُعطًى أولي ونتيجة تخرق هذا المُعطى أو تُراجعه جزئيًا، ما يجعلها أداة تفكيك وإعادة بناء للنسق الحِجَاجي. ويعتمد منظّرو الحِجَاج[16] على هذا النمط البنائي (أ لكن ب) بوصفه تجسيدًا لآلية "الاعتراض الحِجَاجي" التي تُؤسّس لإعادة ترتيب أولويات الحُجّة ضمن المسار التداولي.

يقول المعرّي على لسانِ نابغة بني جعدة مهاجمًا الأعشى: "اسكتْ يا ضُلَّ بنَ ضُلَّ، فأقسم أنّ دخولك الجنة من المنكرات. ولكنَّ الأقضِيَةَ جَرَتْ كَمَا شَاءَ الله!"[17].

جاءت (لكنّ) لتأدية دورٍ حجاجيّ دقيقٍ في هذا السّياق، المُلاحظ أن المُعطى قبل (لكنّ) هو هجاء واعتراضٌ وتحامل على أبي بصيرٍ، وأما ما بعد (لكنّ) فهو معطى فيه من التسليم لوقوع شيء لم يكن بالحسبان وهو دخوله للجنّة؛ وهذا إنّما حدث وفق إرادة الله ولطفه وتقديره.

فأضاف الرابط هنا بعدًا حجاجيًا واعتراضيا فيه تسليم لسلطة القضاء والقدر، مما يعمق البعد النقدي التركيبي في الخطاب.

يقول المعري على لسان ابن القارح: "يجبُ أن يُحذَرَ من ملَكٍ يعبُرُ فيَرَى هذا المَجْلِسَ، فيَرْفَع حديثَه إلى الجبّارِ الأعظم، فلا يجرّ ذلكَ إلا إلى ما تكرهان. واستغنى ربنا أن ترفع الأَخْبَارُ إليهِ، ولكنْ جرى ذلِكَ مَجْرَى الحفظة في الدّار العاجلة"[18].

(16) اللغة والحجاج، العزاوي، ص58.
17() رسالة الغفران، المعري، ص230.
18() رسالة الغفران، المعري، ص233.

يحاول المعري على لسان ابن القارح تقديم تصويرٍ لحالة المراقبة الإلهية التي توازي نظام الرقابة الدنيوية على أعمال العباد وأقوالهم، ما يشي بوجود آليةِ عدالةٍ جزائيةٍ تقوم على الحساب وفق استحقاق كل فرد. هذا التصوير يؤسس لـ حجة وجودية ترتبط بمسؤولية الإنسان أمام سلطة عليا.

ومع ذلك، يُفعّل النص عنصر الاعتراض الحِجَاجي عبر استخدام أداة "لكن"في نهايته، التي لا تلغي الحُجّة السابقة، بل تدخل كأداة تعديل وتوازن تطرح شكوكًا أو تحفّظات داخلية على الموقف المطروح، مما يُضفي على النص طبقة ثنائية الأبعاد.

توظيف "لكن" هنا يُضخم من توتر الخطاب الحِجَاجي، إذ يعيد توجيه مسار التفسير ويُدخل مفارقة نقدية بين الإيمان بالمراقبة والجزاء، وبين القلق أو الريبة من نتائجها، ما يُثري النص بعمقٍ تداولي يسمح بتحليل أكثر تعقيدًا للموضوع.

ثانيًا: رو ابط التساوق الحجاجي

الر ابط الحجاجي (حتى)

تُعَدّ (حتى)من أبرز الأدوات الرابطة في العربية، إذ تنوّعت وظائفها بين الابتداء والجرّ والعطف، غير أنّ أهميتها الحِجَاجية تتبدّى في موقعها العاطف الذي يربط بين حجتين في خدمة نتيجة واحدة. فهي تأتي لانتهاء الغاية في الغالب، وتعمل على إدماج ما بعدها فيما قبلها أو إخراجه منه، الأمر الذي يجعلها أداة ذات طاقة دلالية مزدوجة.

ويرى النحويون أنّ المعطوف بعدها يشترط فيه أن يكون جزءًا مما قبله، وأن يمثّل غايته بالزيادة أو النقص، بما يعكس قوة الحُجّة أو ضعفها. ومن هنا يظهر تلاقي (حتى) العربية مع نظيرتها

الفرنسية(Meme)عند ديكرووأنسكومبر، حيث تتوسّط بين حجتين تنتميان لفئة حِجَاجية واحدة.وبذلك تصبح (حتى) مؤشرًا حِجَاجيًا يضيف لما قبلها قيمةً دلاليةً أرقى أو أضعف، بحيث تُقوّي المسار الاستدلالي، وتجعل الحجّة التالية لها أرجح في خدمة النتيجة المقصودة.

قال المعري: "وسار هذا البيت في آفاق البلاد فلم يزل ينشد ويهفّ عني العذاب حتى أطلقتُ من القيود والأصفاد، ثم كرر إلى أن شملتني الرحمة ببركة ذلك البيت، وإن ربنا لغفور رحيم"[19]

يتجلّى دور (حتى) في إقامةِ علاقةٍ تراتبيةٍ في القول، ويظهر ذلك من خلال عملها على تناسق الخطاب الموجَّه، حيث يتم وضعها كرابطٍ ترتيبيّ للأقوال المذكورة ضمن السياقات، ويمكن تمثيل علاقته التراتبية الحِجَاجيّة بالآتي: (حتى ب > ب).

وعن هذا الحجاج الوارد في اتساقه وتراتبه القولي يمكن تمثيله على السلم بـ:

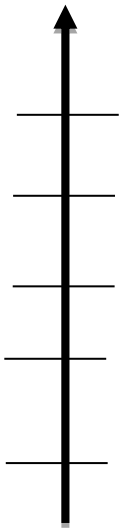

ثم كرر إلى أن شملتني الرحمة ببركة ذلك البيت

أطلقتُ من القيود والأصفاد

رابط حجاجي (حتى)

فلم يزل ينشد ويهفّ عني العذا وسار هذا البيت في آفاق البلاد

19() رسالة الغفران،المعري، ص186.

في النص ووفقًا للسلم المرسوم تواتيًا مع قول المعرّي يتبدّى عمق البُعد الحِجَاجي للأداةِ (حتّى) في النصوص التي تُبنى على التدرّج الكلامي، إذ تتحوّل من مجرد أداة غائية أو انتهاء إلى وسيط تراتبيّ يعمل على تنظيم الحجج ضمن حلقاتٍ متصاعدة. فهي لا تكتفي بترتيب الأحداث سرديًّا، بل تؤسس لعمليّة التسلسل الحِجَاجي والذي بدوره يعمل على تحقيق نتيجة حتمية التحقّق بعد استكمال سلسلة من المقدمات. ومن هنا فإنّ (حتى) تُمثّل ذروةً خطابيّة تُلزم القارئ بالتسليم بتلازم المقدمات مع الغاية النهائية.

يلفت المتلقي في السياق قول "ثم كرر إلى أن شملتني الرحمة ببركة ذلك البيت"يجد الناظر أن (حتى) جاءت لتجعل من فعل التكرار المتواصل حُجّة لا تكتمل إلا بالوصول إلى الرحمة بوصفها النتيجة الحتميّة للقولِ. فالتراتب الحِجَاجي يظهر من خلال تناسق القول في صورة تصاعدية يتولّد عنها في النهاية نتيجة قولية فاعلة.

وبذلك تُسهم (حتى) في إلصاق التماسك التداولي لعمليّة الخطاب، إذ تخلق علاقة سببيّة غير مباشرة بين التتابع العملي للقولِ وبين الغاية القصوى المترتّبة على القول.

إن القيمة الحِجَاجية لـ(حتى) تكمن في كونها أداة تصعيد تربط السلسلة الاستدلالية بنقطة النهاية، فتصبح بمثابة مِحور اتّساق يجعل الخطاب يسير وفق أفق برهاني مُحكم. وبهذا المعنى، تغدو (حتى) جزءًا من جهازٍ حِجَاجي متكامل، لا يقل فاعلية عن (ثمّ)، بل تؤدّي دورًا تكامليًّا يضمن للنص التساوق الحِجَاجي ويُضفي عليه بعدًا تداوليًّا يعكس وعي المؤلّف بآليات الإقناع والتدرّج البرهاني.

يقول المعري على لسان ابن القارح في رسالته: "يا أبا أمامة، إنّك لحصيف الرأي لبيبٌ، فكيف حسَّنَ الله لُبُّكَ أن تقول للنعمان بن المنذر ... ثم استمرّ بك القول، حتى أنكره عليك خاصّةٌ وعامّةٌ؟ فيقول النابغة

بذكاء وفهم: لقد ظلمني من عاب عليّ، ولو أنصف لعلم أنني احترزت أشد احترازٍ وذلك أن النعمان كان مستهترًا بتلك المرأةِ، فأمرني أن أذكرها في شعري..."[20]

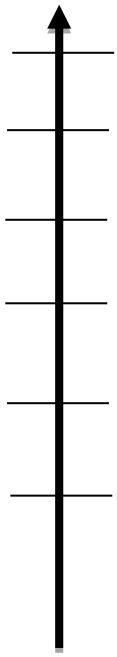

ولو أنصف لعلم أنني احترزت أشد احترازٍ

فيقول النابغة بذكاء وفهم: لقد ظلمني من عاب عليّ

أنكره عليك خاصّةٌ وعامّةٌ؟

رابط حجاجي (حتى)

ثم

استمرّ بك القول

إنّك لحصيف الرأي لبيبٌ، فكيف حسَّنَ الله لُبُّكَ أن تقول للنعمان

يتكشف من خلال تتبّع السُّلَّم الحِجَاجي حضورٌ لافت لصوت الدفاع عن الذات في شعر النابغة، إذ يلوح منه جهده في تفنيد التهمة وتثبيت الموقف، لا سيما في السياق الذي يمدح فيه نديمه النعمان بن منذر. إن الخطاب برمّته، بما يتضمن قبل أداة الربط وبعدها، ينهض على تضافر الأقوال وتضافلها في سبيل بلوغ

20() رسالة الغفران، المعري، ص205.

غاية واحدة؛ فالرابط "حتى" هنا لا يؤدي وظيفته النحوية المعهودة فحسب، بل يتحول إلى محور تتفرع منه دلالاتٌ متشعبة تتبدّى بوضوح عند تأمل السياق التداولي للنص واستكناه منعرجاته الدلالية.

في مقطع التمهيد، يورد ابن القارح نصًا بليغًا: "إنك لحصيف الرأي لبيبٌ، فكيف حسَّن الله لُبُّك أن تقول للنعمان"، حيث يُشيِّد الحجة على ركن التوكيد تارةً، ويُضمر الاستفهام الاستنكاري تارةً أخرى، بما يطبع الخطاب بطابع التناقض المقصود الذي يُجلي الحيرة ويستدعي التفكر. ويتخلل هذا البناء الحجاجي منعرجٌ مهم حين تطل أداة الربط "حتى"، لتكون لحظة مفصلية تمنح الخطاب بعدًا تصاعديًا فريدًا.

عند هذه النقطة، يشرع النابغة في تعزيز موقفه باستدعاء واقعة سالفة: "لقد ظلمني من عاب عليّ"، مستثمرًا في ذلك حجة التجربة الشخصية ومشيرًا إلى قصور المرجعيات الاجتماعية لدى النعمان، في محاولة منه لسدّ هذا الخلل عبر استدعاء أدلة وحجج قادرة على إقناع السامع وتعضيد خطابه.

تتجلى هنا الأهمية الحجاجية للرابط (حتى)، الذي يتجاوز حدود الوظيفة الزمنية، ليغدو آلية تصعيد استدلالي تعيد تنظيم مقدمات الخطاب وتضفرها في نسق تراتبي متصاعد. فـ(حتى) تُمثّل ذروةً بيانيةً في مدارج السلم الحجاجي، إذ تنقل النقاش من مستوى البيان المجرد إلى مستوى الإلزام المنطقي، فتُلزم المتلقي بالقبول بتلازم المقدمات والنتائج ضمن انسجام تداولي راقٍ. وبذلك تتحول من أداة لغوية إلى وسيلة تداولية قادرة على منح الخطاب تماسكًا استدلاليًا محكمًا.

ويمتد هذا التصعيد الحجاجي بقولهم: "ثُمّ استمرّ بِكَ القول"، الذي يؤكد ديناميكية النص وانسيابه نحو نتائج أكثر اتساعًا وعمقًا، فلا ينحصر الخطاب في نتيجة بعينها، بل ينمو في صياغة متدرّجة تستبطن سيرورة صاعدة تتسم بالحيوية والتمدّد البلاغي الحجاجي.

إن القيمة النقدية لأداة "حتى" تتجلى في قدرتها على إرساء نسق تراتبي بين المقدمات والنتائج، فتحقّق بذلك انسجامًا سببيًّا غير مباشر يثبّت بنية الحجاج ويدعم تماسكه الداخلي. ومن ثم، يَرْتقي النص إلى مستوى الخطاب البرهاني المحكم، المتين في معماريته، المتدرّج في حُججه، المعبر عن وعي لغويّ حجاجي ناضج لدى مؤلفه.

الرابط الحجاجي (ثم)

يتموضع الرابط **(ثمّ)** كأداة عطفٍ ذات بعدٍ حِجَاجي يُرتّب الحجج ترتيبًا زمانيًّا ومنطقيًّا مع دلالة على التراخي، فيمنح الحُجّة الثانية وزنًا أعمق بعد الأولى. وهذا الترتيب ليس مجرّد نسق لغوي، بل هو بناء استدلالي يُنتج انتقالًا مدروسًا في الخطاب. وما خرج عن هذا النسق من الاستعمالات أوّله العلماء، ليظلّ جوهره قائمًا على تراتبيةٍ حجاجية تُبرز قوة التدرّج في عرض الأدلة.

ومن الأمثلة على توظيف قوى (ثمّ) في دفع الحجاج لمرتبةٍ أعلى في القول ما أخبر به المعري: "نقل هؤلاء المُسمعات من زي ربّات الأجنحةِ، إلى زي ربّات الأكفال المترجّحة. ثمّ ألهمهنّ بالحكمةِ حفظَ أشعارٍ لم تمرر قبلُ بمسامعهنّ. فَجِئْنَ بهَا مُتْقَنَةً، محمولةً على الطرائق ملحّنة، مصيبة في لحنِ الغناء، منزّهة عن لحنِ الهُجنَاءِ."[21]

21() رسالة الغفران، المعري، ص226.

(ثُمَّ)

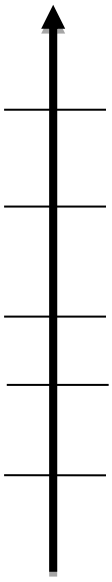

مصيبة في لحنِ الغناء، منزّهة عن لحنِ الهُجنَاءِ

فَجِئْنَ بهَا مُتْقَنَةً، محمولةً على الطرائق ملحّنة

ألهمهنّ بالحكمةِ حفظَ أشعارٍ لم تمرر قبلُ بمسامعهنّ

ثم ب > ب > ب يتفرع ذلك إلى ترتيب النتائج.

نقل هؤلاء المُسمعات من زي ربات الأجنحة إلى زي ربات الأكفال المترجِّحة.

يُظهر المعرّي في هذا الموضع براعةً في بناء حِجَاج متدرّج يبدأ من مقدّماته الدنيا ويتصاعد نحو ذروة بالغة في المعنى والتوظيف. إذ يؤسِّس الخطاب أولًا بتحويل الصورة من زيّ ربّات الأجنحة إلى زيّ ربّات الأكفال المترجِّحة، وهي مقدّمة تأسيسية تمهّد لانبثاق النتائج اللاحقة. ثمّ ينتقل إلى النتيجة الأولى، المتمثّلة في إلهام المُسمِعات حفظَ أشعارٍ لم تمرّ من قبل بمسامعهنّ، وهي خطوة أولى في سلّم الترقّي الحِجَاجي، تفتح المجال لتوالد نتائج أعلى. وبعد ذلك تتعزّز هذه النتيجة بمرحلة ثانية تتجلّى في إتقان الأداء وحمله على الطرائق مُلحّنة، وهو طور أكثر نضجًا يُبرز التمرّس والتمكّن. وأخيرًا يجيء العطف بـ (ثُمَّ) ليرفع الخطاب إلى ذروة السُّلَّم، حيث النتيجة القصوى:الغناء المصيب، المنزَّه عن لحن الهُجناء.

ويتبيّن للمتلقي أنّ (ثُمّ)لا تعمل هنا بوصفها أداة ترتيب زمني فحسب، بل تتحوّل إلى أداة حِجَاجية تصاعدية تنظّم النتائج في نسق منطقي متماسك، بحيث تُظهر أن بلوغ الغاية النهائية لا يتمّ إلا عبر هذا المسار المتدرّج من المقدمات إلى النتائج. وبهذا يؤكّد المعرّي أنّ البنية الإقناعية لخطابه ليست قائمة على

التراكم العفوي، بل على هندسة حِجَاجية واعية، تجعل من كلّ نتيجة درجةً لازمةً تؤدّي إلى الدرجة الأعلى، في سياق يكشف عن عقلية نقدية رصينة في ترتيب البراهين وتوجيه المتلقي إلى النتيجة الأرفع.

ومن ضمن تفعيله الحجاج باستخدام (ثُمّ)، قوله: "ولقد كانت الغانية في الدار العاجلة، إذا تُفرّست فيها النجابة، وأحضرت لها الملحّنة لتُلْقِيَ إليها ما تعرفُ من ثقيلٍ وخفيفٍ، وتأخذها بمأخذ غير ذفيف، تقيم معها الشهر كريتًا، قبلَ أن تُلَقّنَ كذبا حنبريتًا: بيتًا من الغزل أو بيتين، ثمّ تُعطى المائة أو المائتين. فسبحان القادر على كل عزيز، والمميز بفضله كل مزيز"[22]

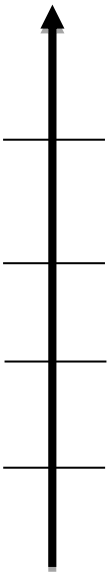

(ثُمَّ

ب > ب > ب > ب >ثمّ تُعطى المائة أو المائتين

تقيم معها الشهر كريتًا قبلَ أن تُلَقّنَ كذبا حنبريتًا: بيتًا من الغزل أو بيتين

وتأخذها بمأخذ غير ذفيف

وأحضرت لها الملحّنة لتُلْقِيَ إليها ما تعرفُ من ثقيلٍ وخفيفٍ

ولقد كانت الغانية في الدار العاجلة، إذا تُفرّست فيها النجابة

22()رسالة الغفران، المعري، ص226.

يحاول المعرّي في هذا المقطع أن يرسم نموذجًا خطابيًّا متماسكًا مشبعًا بالحِجاج، قائمًا على تدرّج منطقي في بناء المقدمات والنتائج، موظّفًا أداة الربط (ثُمّ)لا بوصفها مجرّد أداة عطف زمنية، بل باعتبارها آلية تداولية ووسيطًا برهانيًّا يتكفّل بترتيب الحجج وصياغة النتائج في إطار نسق إقناعي متنامٍ. فالمقدّمة الصغرى التي ابتدأ بها خطابهِ "ولقد كانت الغانية في الدار العاجلة، إذا تُفرّست فيها النجابة" تؤسّس للمشهد الحِجاجي من خلال تثبيت معيار النجابة. ثمّ يُعزّز هذا التأسيس ببراهين متتابعة تبرز صرامة التلقين، وتؤطّر طول المدّة التدريبية بوصفها ضمانة للجدّية. وعلى الرغم من أنّ هذه العناصر تبدو في ظاهرها مترابطة ترابطًا نحويًّا، إلا أنّها تتجاوز ذلك إلى مستوى الترابط التداولي – السببي، بحيث تُشيِّد خطابًا يقوم على التنامي البرهاني وفق سلّم حِجَاجي متصاعد.

ويبلغ البناء ذروته مع توظيف (ثُمّ)في قوله: "ثُمّ تُعطى المائة أو المائتين"، حيث تتحوّل الأداة من دلالتها الأصليّة في التراخي الزمني إلى وظيفة تصعيدية تعيد ترتيب السلسلة الحِجاجية مع تأكيدها وبيان المحور الوظيفي التداولي لها، وبذلك تجعل من النتيجةحجّة كبرى مُبرهَنة لا مجرد عرضٍ اعتباطي.

فـ (ثُمّ) في هذا السياق تُنجز وظيفة التعليل الضمني الذي يُلزم المتلقي بالقبول بضرورة النتيجة تبعًا لصرامة المقدمات السابقة، وبذلك ينقلب النص من مجرّد سرد وصفي إلى بنية استدلالية محكمة.

إن القيمة الحِجاجية لأداة (ثُمّ) تكمن في كونها مفصلًا تداوليًّا يخلق علاقة تلازم منطقي بين الشرط والجزاء، وفي جعل الخطاب ينمو على أساس الاستدلال التصاعدي الذي لا يسمح ببلوغ النتيجة إلا عبر تدرّج مدروس. وبهذا المعنى، تغدو (ثُمّ) أداة حِجاجية – تداولية تمنح النص بُعدًا برهانيًّا مُقنعًا، وتكشف عن وعي المعري بآليات التصعيد الخطابي والتدرّج الحِجَاجي، بما يعكس انسجامًا بين المستوى النحوي والوظيفة البلاغية في أفق تأويلي يتجاوز ظاهر البنية إلى عمقها الحجاجي.

رو ابط التعليل الحجاجي(المدرجة للحجج)

تُعدّ ألفاظ التعليل من الروابط الحِجَاجية المركزية التي يُشيّد بها الخطاب بنيته التفسيرية والتبريرية، إذ تمنحه قوة استدلالية مُلزمة. وقد اعتمد المعرّي عليها في رسالته، فحوّل التعميات إلى أقوال مسوَّغة بعلل لغوية ومنطقية من قبيل:لأن،بسبب، بحُجّة، بما يعمّق مشروعية الحُجّة ويقود المتلقي إلى الإذعان.

الرابط الحجاجي (لأنَّ)

يُعَدّ **(لأنّ)**من أبرز الروابط التفسيرية التعليلية التي يركن إليها المتكلم لتسويغ أفعاله وأقواله، إذ ينهض بمهمّة التبرير المنطقي وتدعيم القول بالحُجّة. وهو مؤلَّف من لام التعليل و(أنّ) التوكيدية، مما يجعله الأداة الأكثر شيوعًا وضرورةً في الخطاب الحِجَاجي لتوكيد الدعوى وترسيخها في ذهن المتلقي.

يقول المعري: "وهو أكمل الله زينة المحافل بحضورهِ يعرف الأقوال في هذه الأبيات وإنما أذكرها لأنه قد يجوز أن يقرأ هذا الهذيان ناشئ لم يبلغه"[23]

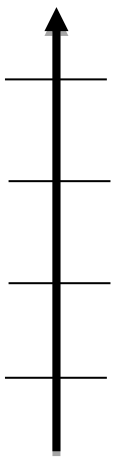

(ق3)(يجوز أن يقرأ هذا الهذيان ناشئ لم يبلغه).

(الرابط) = (**لأنّه**).

(ق2) (وإنَّما أذكرها).

23() رسالة الغفران، المعري، ص179.

(ق1) (بحضورهِ يعرف الأقوال في هذه الأبيات).

(سلم حِجَاجي مكون من ثلاثة أقوال).

يُمكن تمثيل الخطاب محلّ التحليل بسُلَّم حِجَاجيّ مؤلَّف من ثلاثةِ أقوال متعاقبة (ق1–ق3)، يرتبط بعضها ببعض عبر روابط تداولية أبرزها "لأنّ"، التي تنهض بوظيفة ربطية تكشف عن طبيعة الاستدلال. فالقول (ق3) يشكّل بُؤرة السُّلَّم وأقوى مكوّناته؛ إذ ينهض مقام النتيجة الاستدلالية، لارتباطه المباشر بالفعل الحِجَاجي الذي يوجِّه المتلقي نحو الإذعان.

وعلى هذا النحو تتجلى فاعلية "العامل الحِجَاجي" في دفع الخطاب إلى أعلى مراتب القول، حيث تتضافر المؤشّرات التداولية والنحوية لتجاوز حدود الوظيفة التركيبية الصرف، إلى أداء دلالي–إقناعي متين. إنّ المعاينة الدقيقة للنسيج التركيبي والدلالي عند المعرّي تبرز كثافة هذه الأدوات والرَّوابط التي تؤسِّس لبنية استدلالية متدرجة، فلا يكتفي بسبب واحد للاستدلال، بل يوظف شبكة متشابكة من الحجج تُعزّز بعضها بعضًا وفق مبدأ التراتبية. وهكذا يغدو النص فضاءً تداوليًا تتحرك فيه الأقوال داخل سلّم متصاعد، حيث تتقوى الحجج عبر المقام التداولي وتكتسب شرعيتها من نسقها البنائي والدلالي، وهو ما يمنح خطاب المعرّي قوته الإقناعية وحضوره الحِجَاجي المتفرّد.

يقول المعري في سياق آخر مستخدمًا أداة التعليل لأن: "وخشيتُ أن أذكر اسمها في النّظمِ، فلا يكون ذلك موافقًا للملكِ، لأنّ الملوكَ يأنفونَ من تسميةِ نسائِهم، فرأيتُ أن أسْنِدَ الصّفة إليه"[24]

24() رسالة الغفران، المعري،ص205.

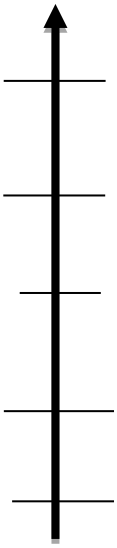

(ق4) (فرأيتُ أن أسْنِدَ الصّفة إليه)

(ق3) (الملوكَ يأنفونَ من تسميةِ نسائِهم).

(الرابط) = (**لأنَّ**).

(ق2) (فلا يكون ذلكَ موافقًا للملكِ).

(ق1) (وخشيتُ أن أذكر اسمها).

يعكس هذا المقطع سُلَّمًا حِجَاجيًّا متراتب الأقوالِ، متدرجًا من أربعة أقوال متتاليةٍ، مبنيّة على مبدأ الترابط التعليلي الذي تؤديه أداة الربط **(لأنّ)**، بما يضمن الانتقال من مقدمات جزئية إلى نتيجة مبرهَنة. بدأ القول بالخطاب من (ق1) وهو يمثّل مقدمةً انفعالية ذات بُعدٍ تداوليّ مبني عليها حجاج ونتائج ستظهر خلال ترابطية الأقوال وتتابعها. وهذا يكشف عن ذكاء المعري في بناء أقواله ومعرفته بفنون الأحاديث وبراهينها.

ثم يحاول إسناد (ق2) مرتكزة قائمة كنتيجة أولى للخشية والخوف من ذكر الاسم المشار إليه في سياق الحديث، ليعلّل بعدها باستخدام الموجّه الحجاجي والرابط (لأنّ) = والتي بدورها يُقام عليها الحجة الكبرى في القول والفصل، وهي تشي بقوّة برهانية كثيفة حيث تقع أعلى السلم الحجاجي, ويختتم القول بِ(ق4) وهو التبرير والتسويغ لما قام به من اختيار وتخيّر في بناء قصيدته، حيث هو الحجر الأخير في التشييد

للأقوال الذي أظهر بنية خطابيّة ذات بعدٍ ثقافيٍّ واجتماعيٍّ آمن به الشاعر فقام بالاستجابة للتلك الموروثات وعمل بها وبأصولها.

يكشف هذا التدرج عن نيّة المعرّي لاستثمار العامل الحِجَاجي (لأنّ) في تصعيد أقواله من مقدّمة انفعالية إلى حجة ثقافية عليا، بما يحققُ انسجامًا مع سلم ديكرو، حيث تزداد الحجج قوةً وفعاليّة تدريجيّة لتبرير المقام الخطابي. ومن ثمّ تتبدى البنية النصية بوصفها شبكة مترابطة من الروابط والعوامل والنتائج، تجعل من القول فعلًا تداوليًا ذا وظيفة إقناعية، وتؤكد أنّ قوة الخطاب لا تُختزل في صورته النحوية، بل تتجلّى في انتظام العلاقات الحِجَاجية التي تمنحه بعدًا برهانيًا وثقافيًا فاعلًا.

الأفعالُ الكَلَاميّة

أَوّلًا- الإخباريات

تكشف الأفعال الكلامية الإخباريّة في خطاب المعري عن وظيفة حِجَاجيّة مركزية، إذ تُبنى وفق قوة إنجازية مباشرة تقوم على الوصف والإخبار والتقرير، مما يمنح النص بعدًا برهانيًّا. وتعمل هذه الإخباريات على تأطير عملية التواصل، بحيث يصبح المتلقي جزءًا من آلية تداولية تقوم على الإقناع. كما تتجلى قوتها غير المباشرة في مقاصد ضمنية كـ التعظيم، المدح، الذم، التعريض، ما يثري البنية الحِجَاجيّة للنص. ويظهر أثرها في توجيه المتلقي داخل مسار استدلالي تراتبي يتطلب التسليم بمضمون القول. أما القوانين التداولية المهيمنة عليها فهي: الإخبار بوصفه أساس الحُجّة، والإفادة بما يحقق نفعًا تداوليًا، والشمول[25] الذي يضمن تغطية المعنى، والصدق الذي يشكّل شرطًا للانسجام الحِجَاجي. وبذلك تغدو الإخباريات في رسالة الغفران أداةً لإنجاز خطاب برهاني تتضافر فيه الوظائف الإنجازية مع الأبعاد الحِجَاجيّة لتحقيق غاية الإقناع.

25() القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، ص233.

يخبرُ المعرّي عن إوزّ الجنّة بقوله: "ويمرُّ رِفٌّ من إوَزِّ الجنّةِ، فلا يلبثُ أنْ ينزل على تلك الروضة ويقف وقوف منتظر لأمرٍ-ومن شأن طير الجنة أن يتكلّم- فيقول: ما شأنكنَّ فيقلنَ: ألهِمْنا أن نسقط في هذه الروضة فنغني لمن فيها من شربٍ. فيقول على بركةِ الله القدير. فينتفضنَ، فيصِرْنَ جواريَ كواعبَ يرفُلْنَ في وشى الجنّةِ، وبأيدِيْهنَّ المزاهر وأنواع ما يلتمس به الملاهي. فيعجبُ، وحُقَّ له العجبُ، وليسَ ببديعٍ من قدرةِ الله جلّت عَظَمَتهُ، وعزَّتْ كَلِمَتهُ ..."[26]

إنَّ هذا المقطع الذي يصوّر فيه المعري مشهد إوزّ الجنّة يتكئ في بنيته على الفعل الإخباري بمختلف صيغه (يمرّ، ينزل، يقف، يتكلّم، يقلن، ينتفضن...)، وهذه الأفعال، وإن كانت قائمة على التخييل، فإنها تؤدّي وظيفة تقريرية-وصفية تنقل الوقائع كما لو كانت مُشاهَدة ومُعاشة. وبهذا، يتحقق للفعل الإخباري بعده الإنجازي الذي يقوم على بناء مشهد كامل يثير الاستجابة التأملية لدى المتلقي.

إن الإخباريات لا تكتفي بوصف الحَدَث، بل تُنشئ من داخله قوة حِجَاجية ضمنية، إذ توجّه القارئ نحو التسليم بأنّ ما قد يبدو عجيبًا أو مستغربًا في تصوّر الجنة إنما هو مظهر من مظاهر القدرة الإلهية المطلقة، وهو ما يتجلّى في عبارة: "فيعجب، وحُق له العجب"، التي تحوّل الخبر من كونه تقريرًا وصفيًا إلى كونه برهانًا بلاغيًا يشرعن العجب ويؤطره في سياق الدهشة الإيمانية.

إنّ هذا الاستخدام للفعل الإخباري يُبرز كيف تُصبح اللغة أداةً مزدوجة الوظيفة: من جهة، أداة سردية تُنتج صورة حسّية رمزية؛ ومن جهة أخرى، أداة حِجَاجية تُقيم برهانًا على قدرة الله من خلال المسار التصويري ذاته. فالإخبار هنا لا يُعنى فقط بنقل حدث متخيَّل، بل بترسيخ حقيقة برهانية مفادها أنّ عالم الآخرة يتجاوز منطق الدنيا ويبرّر عجب المتلقي إزاءه. وبهذا يتضح أنّ الفعل الإخباري قد خرج عن حدود

26() رسالة الغفران، المعري، ص212.

الحكاية إلى فضاء الإقناع والتصويغ، ليغدو خطابًا يتأسس على وظيفة إنجازيةحِجَاجية تجعل السرد ذاته حجّة ضمنية على الإيمان بالقدرة الإلهية اللامحدودة.

يقول المعري على لسان الشاعر تميم بن مقبل مخاطبًا ابن القارح في سبب دخوله الجنة: " فقلتُ: الأشعار جمع شِعر، والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط، إن زادَ أن نقص أبانه الحِسُّ، وكان أهل العاجلة يتقربون به إلى الملوك والسادات"[27].

إنّ الفعل الكلامي المباشر (فقلتُ) ينهض هنا بوظيفته الإخبارية الصريحة، غرضه التعريف والإعلام وتقديم بيان معرفي يُفترض بالمتلقي أن يجهله أو يحتاج إلى توضيحه. غير أنّ هذا الإخبار يتجاوز كونه مجرّد تعريف اصطلاحي للشعر ليأخذ بعدًا حِجَاجيًا مزدوجًا: فهو من جهة يشرعن للشعر موقعًا متميزًا بوصفه كلامًا موزونًا مضبوطًا بالذوق، ومن جهة أخرى يكشف عن منفعة نفعية كامنة في ممارسته، إذ كان أداة للتقرّب من الملوك والوزراء ووسيلة للتكسب.

إنّ السياق الذي يورده المعري على لسان تميم والموجَّه فيه الخطاب إلى رضوان خازن الجنة لا يعدُّ بريئًا من الغاية؛ فهو يبني مقدمات ظاهرها التعريف والإخبار، وباطنها السعي إلى غرض آخر هو التمهيد لطلب المغفرة. هنا تتجلّى الوظيفة الإنجازية للفعل الإخباري، إذ يتحوّل من فعل وصفي محايد إلى أداة خطابية ذات بعد حِجَاجي ونفعي:فهو يقيم دعوى ضمنية مفادها أن الشعر ذو منزلة رفيعة في الدنيا، وبالتالي فهو يستحق أن يكون جسرًا للقبول في الآخرة.

بهذا يظهر أن الأفعال الإخبارية عند المعري لا تُستخدم بوصفها حيادية من الغرض، بل هي مشبعة بأغراضٍ تداولية وإقناعية. فهي تُسهم في بناء خطاب مزدوج الطبقات: طبقة ظاهرية تقوم على التعريف

27() رسالة الغفران، المعري، ص250-251.

والوصف، وطبقة باطنية تقوم على الحِجاج والإقناع عبر الإيحاء بالاستحقاق والنجاعة والجدارة. وبهذا المعنى يصبح فعل "فقلتُ" نقطة انطلاق لبناء نسق حواري ينهض على التداخل بين التقرير المعرفي والمقصد النفعي، في صورة تُظهر وعي المعري بمكر اللغة وطاقتها الإنجازية في آنٍ واحد.

بناء الفعل الكلامي:

القوة الإنجازية الصريحة
- الإخبار والتعريف ليؤسس لحجة نفعية.

قوة إنجازية مستلزمة
- الحجة النفعية التي يبني لها هي الحصول على صك غفران يستند عليه أثناء مروره للجنة.

ثانيًا- التوجيهيات (الأمريات)

تُعَدّ التوجيهيات أو الأفعال الكلامية الأمرية أحد أبرز الأنماط التي تقوم على توجيه المخاطَب ودفعه إلى إنجاز فعلٍ معين أو الكفّ عنه، حيث تتحدد قوتها الإنجازية في قدرتها على التأثير في المتلقي وإشراكه في عملية تواصلية قائمة على الامتثال أو المعارضة. ويقوم جوهرها الحِجَاجي على جعل المتلقي طرفًا فاعلًا في إنتاج المعنى، إذ يتحقق شرط المطابقة بين القول والعالم من جهة المخاطَب نفسه. ومن ثم تتفرع هذه الأفعال[28] إلى توجيهيات نفسية تستثير الانفعال وتحرك العاطفة كالعتاب والطمأنة، وأخرى طلبية تسعى إلى حمل المخاطَب على أداء فعل عملي مباشر قابل للتنفيذ كالأمر والنهي والاستفهام والنداء. ومن طبيعتها أن تتضمن قوة إنجازية مزدوجة، مباشرة حين يُصرَّح بالطلب صراحة، وغير مباشرة حين تستلزم استجابة ضمنية أو موقفًا برهانيًا، وهو ما يمنحها طابعًا تداوليًا يتجاوز مجرد الإلزام اللغوي إلى بعدٍ حجاجي يستهدف التأثير والإقناع معًا.

28() الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، على محمود الصراف، (ص216).

يقول المعري كذلك على لسان تميم: "وجئتُ حتى وليتُ منه فناديتُ: يا سيّد الشهداء، يا عمّ رسول الله ρ، يا ابن عبد المطلب! فلمّا أقبلَ عليَّ بوجهه أنشدته الأبيات. فقال: أفي مثل هذا الموطن تجيئني بالمديح؟ أمَا سمعت الآية: "لكل امرئٍ يومئذ شأنٌ يغنيه"؟ فقلتُ: بلى قد سمعتها، وسمعتُ ما بعدها: "ووجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرَةٌ. ضاحكةٌ مستبشِرَةٌ. ووجوهٌ يومئذٍ عليها غبرة، ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة" فقال: إني لا أقدر على ما تطلب، ولكني أنفذ معكَ تورًا –أي رسولًا- إلى ابن أخي عليّ بن أبي طالب" ..."[29]

يستوقف المتلقي في هذا النصّ على لسان تميم توظيفه الكثيف للأفعال الكلامية ذات الطابع التوجيهي، وفي مقدمتها النداء الذي تكرّر بأربع صيغ مختلفة، ابتدأ بالفعل ثم استدام بالأداة (يا)، مما منح القول قوةً إنجازية مباشرة قائمة على التنبيه والإلحاح، ودالة على اللهفة والتطلع لتحقيق المقصود من استدعاء سيد الشهداء حمزة.

ويُلاحظ أن فعل النداء لم يكن غاية في ذاته، بل أداة حجاجية لتكثيف الطلب وإشراك المخاطَب في فعل تواصلي يراد له أن يفضي إلى منفعة مأمولة. غير أنّ ما يُبطنه الخطاب من مقصدٍ، يكشفه ظاهره من خلال تكرار النداء والصيغ الملحّة فيه، فيفضح بذلك نواياه.

ثمّ بعد النداء ينتقل القول إلى صيغة إخبارية تتضمن التعريف والاستشهاد بالنص القرآني، وهي بدورها تحمل قوة إنجازية مضمرة، إذ تُحوِّل الحوار من الطلب الشخصي إلى مقام استدلالي مؤسَّس على حجة النص القرآني ودائمًا في سبل الحجاج يكون التمثيل والاستشهاد درجة عليا للتأثير والإقناع.

يأتي الاستفهام بعده في قوله: "أفي مثل هذا الموطن تجيئني بالمديح؟" بوصفه توجيهًا تقريريًا يراد منه إيقاظ الوعي وتنبيه المتكلم إلى خطأ المقام، وهو ما يعمّق البنية الحجاجية للنص ويُدخل المتلقي في جدلية

29() رسالة الغفران، المعري، ص253-254.

الامتثال والاعتراف. وأخيرًا ينتهي المشهد بتوكيد واستدراك يترجمان القوة الإنجازية غير المباشرة، إذ يتحوّل القول من رفض صريح لتحقيق المطلوب إلى بديلٍ مُعوّض هو "إني لا أقدر على ما تطلب، ولكني أنفذ معكَ رسولًا إلى ابن أخي عليّ". وهكذا يتكامل في النص توظيف التوجيهات الأمرية بين النداء والاستفهام والتوكيد، لتبني سلّمًا تصاعديًا من الإلحاح والتوضيح ثم التعويض، جامعًا بين القوة الإنجازية المباشرة وما يتولد عنها من استلزام حواري مضمر يثري الطابع الحجاجي للنص. وهذا تمثيل للقوة الإنجازية الصريحة والقوة الإنجازية المستلزم.

القوة الإنجازية الصريحة

- ظهرت القوة الإنجازية الصريحة فيأفعال النداء المباشرة وكذلك في الاستفهام الصريح والتوكيد، فدلالة التوجيه المباشر والطلب تحققت من خلال الإصغاء والالتفات والخنوع لقوله.

قوة إنجازية مستلزمة

- تجلّت القوة الإنجازية المستلزمة في الأغراض الورائية التي تحققت من خلف النداء وهو إيصال رسالة خفية مفادها أنا محتاج لمساعدتك وعونك.

ثالثًا- التعبيريات

تُعدّ التعبيريات أحد الحقول المركزية في أفعال الكلام، إذ تكشف عن البُعد الوجداني للغة بما تحمله من طاقة تعبيرية تتجاوز حدود المطابقة بين القول والعالم. فهي الأفعال التي يعبّر فيها المتكلم عن حالته النفسية أو موقفه الانفعالي تجاه حدث أو شخص أو فكرة[30]، ويشكّل غرضها الإنجازي جوهرًا تداوليًّا يتجسد في إظهار المشاعر لا في تقرير الحقائق. وتمتاز هذه الأفعال بارتباطها العميق بشروط الإخلاص، حيث تُظهر صدق التجربة الشعورية، لكنها لا تُلزم بتطابقها مع الواقع الخارجي.

30() الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، علي محمود الصراف، ص212.

تتوزع التعبيريات إلى مستويين متمايزين: اجتماعي ونفسي. فالتعبيرات الاجتماعية تتطلب التفاتًا إلى حال المخاطَب[31]، إذ يشكّل هذا الأخير طرفًا في البنية التفاعلية للقول، كما في الشكر والتهنئة والمواساة.

أما التعبيرات النفسية فتنغلق على ذات المتكلم، إذ تُعنى بوجدان فردي لا يستدعي بالضرورة مشاركة من المخاطَب[32]، فيغدو القول أحاديّ الجانب، ينقل أصداء الداخل دون انتظار استجابة. إذن الغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو التعبير عن الأبعاد العاطفية والحجاجية للغة معًا، وتؤكد أن الخطاب لا ينحصر في الإخبار أو التوجيه، بل يتجاوزهما ليكون مرآةً لانفعالات الذات وتجلياتها التداولية.

ومثال ذلك عند المعري على لسان ابن القارح مخاطبًا حميد بن ثَورٍ بعد أن ذكر له بيتًا يرثي فيه ضعف بصره وذهاب صحته: "فكيف بصرك اليوم؟ فيقول: إني لأكون في مغارب الجنّة، فألمح الصديق من أصدقائي وهو بمشارقها، وبيني وبينه مسيرة ألوف أعوام للشمس التي عرفت سرعة مسيرها في العاجلة. فتعالى الله القار على كل بديع"[33].

يُظهر من خلال النص فعلًا تعبيريًا بالغ الدلالة، حين يتأمل القارئ: "فكيف بصرك اليوم؟... إني لأكون في مغارب الجنّة... فتعالى الله القار على كل بديع". يدرك هنا كيفية تحقق الفعل الإخباري من جهة مباشرة، إذ يبلّغ المتلقي حالة العجب والتقدير لفضل الله، ويجسد الفعل التعبيري النفسي والاجتماعي ضمن إطار أفعال الكلام.

31() يُنظر: المرجع نفسه، ص214.
32() يُنظر: المرجع السابق، ص214.
33() رسالة الغفران، المعري، ص263.

تتجلى القوة الإنجازية الصريحة في صياغة القول الذي يحمل التوكيد اللغوي والإبلاغ عن الحقيقة في عالم موازٍ للواقع الدنيوي، فيما تعمل القوة الإنجازيةالمستلزمة على تفعيل التفاعل الحواري، إذ يُستدعى المتلقي ضمن ساحة التداول ليشهد على تقدير المتحدث ويشارك في استيعاب دلالاته.

كما ويستثمر المعري المفارقات الضدية والزمن الماضي والجمل الاسمية مع الفعلية في تكوين خطاب حجاجي متدرج، حيث تندمج الصور مع الأمكنة– "مغارب ومشارق الجنة" – مع المسافات الزمنية الخيالية، لتكون أدوات حجاجية تبرهن على قدرة الله وتشد انتباه القارئ إلى التسلسل المنطقي للخطاب. كما يحوّل الاستلزام الحواري من مجرد وصف أو سرد إلى أداء برهاني، يجعل المتلقي جزءًا من شبكة التأويل والاستنتاج، متفاعلًا مع التدرج الجدلي والتعبير النفسي.

وبهذا يبرز النص نموذجًا لتوظيف التعبيريات ضمن أفعال الكلام، حيث يلتقي الفعل التعبيري مع آليات الحجاج التداولي والدلالي، مؤكدًا على أن الخطاب المعري ليس مجرد سرد أدبي بل بناء حجاجي مبرهن متكامل، يحقق التواصل الفعلي بين المتحدث والمتلقي، ويبرز البنية العقلية المتماسكة والخبرة البلاغية الدقيقة التي تحكم النصوص الكلاسيكية في التراث العربي.

رابعًا- الوعديات(الالتزاميات)

يصنّف سيرل هذا النوع من الأفعال الكلامية ضمن الصنف الرابع[34]، ويشير إلى أنه يُعبّر عن "التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل". ويعرفه جورج يول[35] بأنه "الملزمات، وهي أفعال كلام يستخدمها المتكلم ليُلزم نفسه بعمل مستقبلي، وتشمل الوعود والتهديدات والتعهدات".

34() الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، الصراف، ص211.

35() التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتابي، ص90.

ويقوم أساس هذه الأفعال على شرطين رئيسين: حضور المستقبل في مضمون القضية، وصدق نية المتكلم، أي إخلاصه في الالتزام بما ينوي. وتتحقق القوة الإنجازية لهذه الأفعال حين يوفّق المتكلم بين قوله والفعل، فيحوّل القول إلى التزام عملي. ويشمل هذا الإطار كل من الوعد والوعيد والإنذار، سواء عبر صيغ مباشرة أو أوامر ونوايا تُنتج أثرًا التزاميًا واضحًا.

وقد تجلّت هذه الظاهرة عند المعري في قوله: "فيطّلع فيرى "إبليس" –لعنه الله- وهو يضطربُ في الأغلال والسلاسل، ومقامع الحديد تأخذه من أيدي الزبانية. فيقول الحمد لله الذي أمكن منك يا عدوّ الله وعدوّ أوليائهِ! لقد أهلكتَ من بي آدمَ طوائف لا يعلم عددها إلا الله".

يُعد هذا المشهد نموذجًا للفعل الكلامي من نوع الوعديات، حيث يلتزم المتكلم بعمل مستقبلي، أي تحقق الوعد الإلهي بالجزاء والعقاب.

فالمعري يعمد إلى إسقاط الفعل الكلامي على المستوى السردي؛ إذ أن تصويره لإبليس مضطربًا بين الأغلال والمقامع يحقق شرط الحضور المستقبلي العادل، حيث تتجسد القوة الإنجازية للوعيد في قدرة الله على جعل العالم مطابقًا للقول وحقيقة لا بدّ منها.

ويظهر في النص الاستلزام الحواري، إذ يتولد عن الوعد والوعيد سلسلة حجاجية تُرسي حقيقة كبرى: الجنة والنار. فالفعل المضارع "فيطّلع" و"يرى" يقدمان مقدمة حجاجية تهيئ القارئ لتلقي استنتاج العقوبة الإلهية، فيما تُبرز الثنائيات والتوازي في البناء السردي تكرار الحجة وتعزيزها، ما يزيد من فعالية الإقناع.

كما يشتمل النص على آليات حجاجية لغوية متعددة:

- التوكيد من خلال الموازي بين المشهد والمضمون.
- الوعد والوعيد كمحددات للتزام المتكلم بالمعنى المقصود، حيث يتحقق التأثير النفسي لدى المتلقي.
- الاستثمار التركيبي للفقرات المعطوفة لتعزيز قوة الترابط الحجاجي.

وقد توافرت شروط الملاءمة ضمن حديثه:

- الفعل المطلوب تحقيقه: وهو تصوير ابن القارح وهو يمشي بين غصون الجنة مشاهدًا أسفلها نار جهنم بها تكوى جباه المكذبين والكفار الذين يصدون عن سبيل الله ولا يؤمنون بآيه.
- شرط التمهيد: قدرة الله البالغة وعظمته وتحقيق الوعد بالعذاب لكل كافر لا يؤمن بيوم الحساب.
- الشرط الأساسي: وهو تغيير قناعات ابن القارح من باب المغفرة والصفح عنه.

والأفكار التي انطوى النّص عليها:

- فكرة النجاة والجنة، وحقيقة النار.
- ومحور حِجَاجي ينطوي على الاسلتزام الحواري الأساس في الجملة، وهو الوعد والوعيد وما حواه من حِجَاج على مستوى الألفاظ المضمومة والمفردة، وكذلك بناء محور تأثيري في القارئ حتى يتمثّل القيم من خلال النص السردي المشحون بالأبعاد الدينية.

الخاتمة والنتائج

يتّضح من خلال هذه الدراسة أنّ رسالة الغفران ليست مجرّد نص أدبي تخييلي، بل هي خطاب حِجَاجي متكامل، يستثمر المعري فيه طاقات اللغة التداولية لتشكيل بنية إقناعية تتجاوز حدود البلاغة التقليدية. فقد انبنى النص على نظرية الأفعال الكلامية بما تحمله من قوة إنجازية وتأثيرية، وعلى الاستلزام الحواري الذي يفعّل الوظائف الضمنية للخطاب ويحوّل القول إلى فعل موجَّه نحو المتلقي. وتجلّت في النص معالم السلالم الحِجَاجية، والروابط التداولية، والمبادئ البرهانية التي أعطت الحُجج تماسكًا منطقيًا وقوة إقناعية متصاعدة. وبهذا يتأكّد أن المعري كان واعيًا بالبنية الحِجَاجية لخطابه، موظِّفًا اللغة بوصفها أداة تأثيرية، لا مجرد وسيلة وصفية.

النتائج

1. كشفت الدراسة أنّ الوظيفة الحِجَاجية في رسالة الغفران تتقدّم على الوظيفة الإخبارية، في انسجام مع التصور التداولي المدمج لديكروأنسكومبر.
2. اتضح أنّ السلم الحِجَاجي يمثل أداة بنيوية مركزية في نص المعري، حيث رتّب الألفاظ والحجج وفق تراتبية تصاعدية تضمن قوة التأثير.
3. أبرز النص الروابط الحِجَاجية مثل (لكن، ثم، حتى) بوصفها آليات تداولية تنقل الخطاب من مجرد سرد إلى نسق استدلالي محكم.
4. أظهر التحليل أنّ الاستلزام الحواري يُثري الدلالات عبر إضمار حجج ونتائج غير مصرح بها، لكنه يدفع المتلقي إلى استنتاجها بما يزيد من حدة الإقناع.
5. أثبتَ البحث أنّ الأفعال الكلامية في رسالة الغفران تؤدي وظائف إنجازية وتأثيرية واضحة، حيث يحوّل المعري القول إلى فعل ملموس يحقق النتائج المرجوّة على المتلقي، سواء في حثّه على التأمل أو الإقناع بمبادئ فلسفية وأخلاقية.
6. تمكّن المعري من إعادة صياغة الموروث البلاغي العربي في صورة إطار تداولي حديث يقوم على البرهنة والتأثير، وهو ما يؤكد حداثة نصّه من حيث أدوات الإقناع.

التوصيات

1. ضرورة التوسّع في دراسة النصوص العربية التراثية في ضوء نظرية الأفعال الكلامية والتداولية المدمجة، لما تتيحه من كشف طاقات نصية جديدة.

2. توجيه العناية إلى النثر العربي القديم، لا سيما الرسائل والمقامات، بوصفها فضاءً خصبًا للخطاب الحِجَاجي.
3. إدماج مفاهيم الحِجَاج اللغوي في مناهج تحليل الخطاب العربي، لربط البلاغة العربية بالتصورات النقدية الحديثة.
4. تشجيع الباحثين على مقارنة خطاب المعري بنصوص عالمية معاصرة له، بما يتيح دراسة تفاعلية بين التراث العربي والبلاغات الغربية.

المصادروالمراجع

- **القرآن الكريم.**
- *الاستلزام الحواري في التداول اللساني*، العياشي أدراوي، الرباط، دار الأمان، ط1، 2011م.
- *الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة*، علي محمود الصراف، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2010م.
- *أهم نظريات الحِجَاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*، الحِجَاج في اللُّغَة، شكري المبخوت، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، د.ط، د.ت،ن.
- *التَّدَاوليّة*، جورج يول، ترجمة: قصي العتابي، بيروت، الدار العربية للعلوم، ط1، 2010م.
- *رسالة الغفران*، أبو العلاء المعري، تحقيق: عائشة عبدالرحمن، القاهرة، دار المعارف، ط9، (د.ت.ن).
- *العوامل الحِجَاجية في اللُّغَة العربية*، عزالدين الناحج، تونس، مكتبة علاء الدين، ط1، 2011م.
- *القاموس الموسوعي للتداولية*، جاك موشلر وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، تونس، دار سيناترا، ط2، 2010م.
- *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*، طه عبد الرحمن، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م.
- *اللُّغَة والحِجَاج*، أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، العمدة للطبع، ط1، 2006م.
- *المظاهر اللُّغَويّة للحِجَاج مدخل إلى الحِجَاجيات اللسانية*، رشيد الراضي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 2014.